

ومجال التميز في التعليم العالي متسع في جامعات ومعاهد العالم المتقدم ، فكل جامعة تملك عصمتها بيدها ، تضع نظامها وبرامج الدراسة فيها ، وآليات تطويرها ، ولا يعني ذلك انها تعيش في برج عاجي بعيداً عن المجتمع ، ولكنها تعتبر نفسها الأداة العلمية لمجتمعها ، فعينها على مشاكله الإنتاجية والبيئية الاجتماعية وهي تصوغ نظمها وتطورها ، عينها على "السوق" وما يحتاجه من كفاءات وخبرات ، فتعدها له ، وتمده بها ، وتقدم له الحلول لمشاكله .. وفي المقابل ، يرفع المجتمع هذه المنظومة العلمية المتكاملة ، فتخصص الاعتمادات المالية الكافية للتعليم العام من الحكومة والقطاع الخاص معاً ، ويكاد القطاع الخاص وحده يحمل عبء تمويل التعليم الجامعي بما يقدمه من تبرعات ومنح سخية للجامعات ، وخاصة مراكز الأبحاث التي تبحث عن حلول لمشاكل الإنتاج أو تضطلع بعبء تطوير التكنولوجيا مثل المعهد الذي يعمل به أحمد زويل .. ولانتفق الأموال بسخاء على البحث العلمي طلباً للثواب في الآخرة ، ولكن تلبية لحاجة المجتمع ، فعائد البحث العلمي يصب في الإنتاج القومي بصورة أو بأخرى .

والسمة البارزة للمنظومة العلمية هو التدريب المتواصل على التفكير العلمي (وهو بعد غائب عن برامجنا التعليمية التي تقدس التلقين) ، وتربى الطلاب على العمل في إطار الفريق من الحضارة إلى الجامعة بما يصاحب ذلك من غرس قيم التعاون والعمل من أجل تحقيق هدف مشترك ، بدلاً من قيم الذاتية والأنانية التي يعاني منها نظامنا التعليمي ، كم شعرت بالأسى عندما روى أحمد زويل لمفيد فوزي في المقابلة التلفزيونية أنه تعلم عندما كان معيداً بجامعة الإسكندرية أن يشتري أقبالاً يحكم بها اغلاق أدراج مكتبه بالمعمل حتى لا يستولي أحد على المواد التي يستخدمها في بحثه ، وأنه فعل نفس الشيء عند وصوله إلى أمريكا ، فاكتشف أن هذا التقليد المتخلف غير معروف هناك ، وأن كل أدراج ومكاتب المعامل حق استخدامها مباح للجميع .. لدينا الإمكانيات المادية الكفيلة باقامة " منظومة علمية " ولكنها مهجرة لغياب الوعي بأهمية العلم في بناء المجتمع ، وبسبب الأساليب العتيقة التي تكبل حركة نظامنا التعليمي وجامعاتنا ومعاهدنا العلمية ، ولغياب البعد التطبيقي في تعليمنا العالي ومراكز أبحاثنا ، وفوق هذا وذاك غياب التخطيط والتنسيق والتواصل بين مكونات المنظومة العلمية عندنا بسبب فقداننا لروح الفريق .

لهذا كله ياسادة نحن في حاجة إلى استغياب دلالات ظاهرة أحمد زويل من أجل غد أفضل لمصرنا العزيزة في عالم لا مكان فيه لمن لا ينظرون إلى الأمام .

صدقوني لو عاد زويل حاملاً الدكتوراه والتحق بمنظومتنا العلمية المتهالكة لما سمع عنه أحد ، دعوه وشأنه ، وتعلموا من حالته ما نصلح به أحوالنا ، ولنواجه أوجه القصور عندنا بشجاعة وأملنة وإحساس بالمثولية ولا نضع رؤوسنا في الرمال .. وأتمنى ألا ينفض المولد على فاشوش.